مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد11 / العدد: 02 (2023)، ص: 78-91

الأنساق الثقافية في رواية " أميركا "لربيع جابر

The cultural patterns implied in the novel "America" by Rabih Jaber

بوزياني محمد[1]، بوحبيب حميد[2]

[1] مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)،

mohamed.bouziani@univ-alger2.dz

[2] مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)،

hamidbouhbib@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/30 تاريخ القبول: 2023/08/02 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: يهدف هذا البحث إلى استخراج الأنساق الثقافية المضمرة في رواية " أميركا " لربيع جابر في محاولة منا تقديم قراءة حصيفة تسعى إلى فهم المنجز الإبداعي خاصة مع ظهور فلسفات ما بعد الحداثة إذ أضحى كل نص فني جمالي يبطن غير ما يظهر وبناء على ذلك فقد غدت الرواية باعتبارها جنسا من الأجناس الأدبية التي تفنن أصحابها في تصوير أوضاع المجتمعات ومحاكاة الظروف المتعلقة بحياة الأفراد بطريقة إبداعية واقعية وتخييلية على حد سواء حقلا خصبا للدراسات الأدبية والنقدية والثقافية وغيرها.

اعتمدنا في منجزنا هذا على طروحات النقد الثقافي باعتباره حقلا متداخلا يتقاطع مع معارف إنسانية كنظرية الأدب وعلم الجمال والتحليلين الفلسفي والنفسي والنظرية الماركسية والأنثروبولوجيا وغيرها، إذ يعد النقد الثقافي أحد المرتكزات التي يقوم عليها النقد الحديث من خلال استنطاق الخطاب الأدبي وقراءته قراءةً جديدة تستظهر مكنوناته، وتحدد مقاصده من أجل الوقوف على طبيعته وعلاقته بالأنساق الثقافية المتسربة إليه.

كلمات مفتاحية: الأنساق الثقافية / النقد الثقافي / الأنا / الآخر / ربيع جابر

Abstract: This research aims to extract the cultural patterns implied in the novel "America" by Rabih Jaber, in an attempt to provide a prudent reading that seeks to understand the creative achievement, especially with the emergence of postmodern philosophies, as every aesthetic artistic text has become concealed other than what appears, and accordingly, the novel has become as One of the literary genres whose owners excelled in depicting the conditions of societies and simulating the conditions related to the lives of individuals in a creative, realistic and imaginative manner alike, is a fertile field for literary, critical, cultural and other studies.

In our achievement, we relied on the propositions of cultural criticism as an overlapping field that intersects with human knowledge such as literature theory, aesthetics, philosophical and psychological analysis, Marxist theory, anthropology, and others. His purposes in order to identify his nature and his relationship with the cultural patterns leaked to him.

Keywords: cultural patterns , cultural criticism , the ego , the other , Rabih Jaber.

***المؤلف المرسل: بوزياني محمد**

1. مقدمة

شهدت النظريات النقدية المعاصرة تحولات جذرية من مجال قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، إذ أن النص لم يعد مقصودا لذاته بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وإنما غدت الأنساق الثقافية التي يحيل إليها ميدانا خصبا للدراسات النقدية والمقارنة، من هنا فقد دعا النقد الثقافي إلى استبعاد كل محاولة لحصر الناقد في تخصص أدبي معين، بكل يتوجب عليه الخوض في كل الاستشكالات الثقافية التي اعتمدتها الدراسات البينية.

وقد عرفت الرواية التي تعد جنسا أدبيا مفتوحا على كل التأويلات في رحاب الممارسات الحديثة للنقد الثقافي إضافات جديدة على مستوى القراءة والتأويل، الأمر الذي جعلها تخوض في القضايا الراهنة والمستجدات التي تلامس روح هذا العصر بامتياز.

لتتكشف لنا أهم القضايا الإنسانية والعوالم الخفية المخبوءة فيها في محاولة لاستنطاق هذا الخطاب والتيمات المصاحبة له ومساءلته باعتباره حدثا ثقافيا جماليا وسعيا للغوص في ثنايا الفضاء الروائي عبر القراءة النافذة أو ما يطلق عليه بمصطلح " قراءة القراءة " زمن المنطلق وقع اختيارنا لمدونة "أميركا " لربيع جابر" بهدف استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة فيها.

اعتمدنا في بحثنا هذا على مقولات النقد الثقافي باعتباره نشاطا نقديا متعدد المناهل، نستعين بأدوات إجرائية متنوعة المصادر والتي تنتمي إلى علوم مختلفة كالفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم النفس والتاريخ ... إلخ

وقد فرض البحث عن ذلك إشكالية مركزية موسومة بـ : ما الأنساق الثقافية الكامنة في رواية " أميركا" لربيع جابر.

2. الدراسات الثقافية والنقد الثقافي الخلفيات والمنطلقات: استفادت الدراسات الثقافية والنقد الثقافي - نظرية وتطبيقا – من حقول ومجالات معرفية عدة وانفتحت على المناهج النقدية تمثلا أو معارضة، وتعد الماركسية والأنثروبولوجيا من أهم الأصول الإيديولوجية التي انبثق عنها هذا الحقل المعرفي الواسع، والتي كانت تقف خلف توجهاتها الفكرية والفلسفية، لذا كان لزاما علينا الوقوف عندهما.

1.2 الماركسية الجديدة: اعتبر الفكر الماركسي من أهم العوامل التي غيرت منحى الدراسات الثقافية النقدية في تناولها للواقع حيث أثر بشكل كبير في وضع قاعدة للنقد الثقافي، كتب "جون ستوري: " إن جميع الافتراضات الأساس للدراسات

الثقافية هي ماركسية" (آدم كوبر، 2008، صفحة 250) ويقوم هذا المذهب على المادية التاريخية، ويفترض أن كل مجتمع يتكون من بنية أساسية تشكل القاعدة الاقتصادية، وبنية فوقية تشمل كل ما هو ثقافي بالمفهوم الواسع للثقافة.

من هذا المنطلق عد الفكر الماركسي النواة الأساسية للماركسية الجديدة، التي استفاد منها مجموعة من النقاد وقدموا طروحاتهم في حقل النقد الثقافي فأفاد منها بنتائج نظرية فعالة ومن جملة هؤلاء نجد " لوي ألتوسير" Louis " Altousir" و " أنطونيو غرامشي""Antonio Gramsci "

لقد سعى "ألتوسير" لإرساء نظرية محكمة محاولا الجمع بين البنيوي والماركسي، انطلاقا من ربطه مفهوم البنية بنظرية المعرفة.

ينظر "ألتوسير" إلى الأدب على أنه: " نسق من صور وأساطير وأفكار وتصورات حسب الأحوال يتمتع داخل مجتمع ما بوجود ودور تاريخيين" (محمد سبيلا، 1999، صفحة 10).

فالعمل الأدبي الممتاز حسب "ألتوسير": "لا يقدم رؤية مطابقة للواقع، كما أنه لا يتوقف عند التعبير عن إيديولوجيا معينة، والتخييل الجمالي لا يكتفي بإعطاء معنى للعالم، بل يتجاوز ذلك إلى تقنيع علاقاتنا مع هذا العالم بل وقمعها" (رامان سلدن، 1996، صفحة 67)، من هذا المنطلق ندرك بأن الأدب يحمل من القيم الجمالية ما يؤهله إلى فضح الإيديولوجيا وإبراز زيفها وتناقضاتها، وهو بهذا الطرح يتجاوز الطرح الماركسي التقليدي القائل بالعلاقة الحتمية بين البنية التحتية والبنية الفوقية.

يقودنا حديث "ألتوسير" عن القمع إلى نظرية "غرامشي" حول الهيمنة حيث قدم لنا هذا الاخير تعريفا للهيمنة ساهم بشكل كبير في تطوير النظرية الثقافية والنقد الثقافي.

إذ عرف الثقافة من خلال ارتباطها الوثيق بالإيديولوجيا والسلطة وكذا العقيدة الاشتراكية، إذ يقول بأن الثقافة تصبح: "قوة سياسية ثانوية تستغلها نخبة حاكمة من ذوي السلطة والنفوذ لأدلجة رغبتهم وموضعة أفكارهم". (عبد الفتاح العقيلي، 2001، صفحة 43) وبهذا فقد انتقل مصطلح الهيمنة عنده من: " مفهومه السياسي المباشر إلى مفهوم ماركسي (مكيف) تفرضه رؤيا للعالم وللطبيعة وللعلاقات الإنسانية مغايرة للرؤية التي طرحتها الماركسية التقليدية" (الرويلي ميجان، 2002، صفحة 346). إن قوى العصر الفكرية والثقافية الحاكمة تشكل عند "غرامشي" شكلا من اشكال الهيمنة بواسطة الأفكار والأشكال الثقافية التي توفر الاقتناع بالنظام السائد، وتضمن قبول المجتمع بأفكاره وغاياته.

لقد كان لنظرية "غرامشي" دورا أساسيا في تطوير الدراسات الثقافية، فقد ساهمت في كشف آليات الهيمنة وطرقها خاصة الهيمنة الخطابية التي تكون وسيلة المؤسسة لاستمرار سيطرتها.

وعلى هذا الأساس أصحبت الرواية كيانا ثقافيا مشحونا بمحولات ثقافية منتجة، ونصا من النصوص التي تساهم الثقافة بقدر كبير في بنائها وإنتاج دلالاتها الظاهرة والثانوية المهيمنة " وبوضعها النص في سياق البنية الثقافية والاجتماعية التي ظفر بها، يمكننا استخلاص الرؤيات والأصوات المهيمنة في النص، الكشف عن خصوصية النص وانتاجيته" (سعيد يقطين، 2001، صفحة 6)

هذه الخصوصية تعكس وجوهات النظر والإيديولوجيات التي يريد من خلالها الكاتب إرسال رسائل مشفرة إلى القارئ من أجل التأثير فيه بطريقة واعية أو غير واعية.

فالصوت المهيمن الذي أشار إليه سعيد يقطن، هو بمثابة النسق المسيطر الذي تتبعه الثقافة وتمرره بحيلها عن طريق وعي أو لا وعي المؤلف أو المبدع.

إن الحديث عن المبدع وأسلوبه الواعي واللاواعي في طريقة انتاجه للخطاب الروائي يحيلنا إلى أن هذا المؤلف المبدع هو كذلك من صنع الثقافة، خاضع لها، تترسب في فكره وذهنه بنياتها وأنساقها، وفي هذا يقول " إدوارد سعيد " أنا لا أؤمن أن المؤلفين يحددون بصورة آلية بالعقائدية (الإيديولوجية)، أو الطبقة أو التاريخ الاقتصادي، بيد أن المؤلفين، كما أؤمن كائنون إلى حد بعيد في تاريخ مجتمعاتهم يشكلون بذلك التاريخ وبتجربتهم الاجتماعية بدرجات متفاوتة " (ادوارد سعيد، 2014، صفحة 27)

إن الدراسة الثقافية تقارب الخطاب الروائي بوصفه، معطا ثقافيا، وتؤكد على فاعلية الثقافة وعلى أهمية حضور المؤلف، وبذلك " فإنها تعيد الاعتبار للبنى الثقافية التي تسعى إلى استعادة القيم التي امتصها النص الأدبي" (يوسف عليمات، 2009، صفحة 1). كما اهتم " إدوارد سعيد" بتطبيق نظريات " ميشيل فوكو" حول الخطاب والسلطة على العلاقات الثقافية والسياسية بين الشرق والغرب إذ يرى "إدوارد" بأن: " الثقافة الغربية اكتسبت المزيد من القوة ووضوح الهوية بوضع نفسها موضع التضاد مع الشرق باعتباره ذاتا بديلة" (ادوارد سعيد ت.، 1980، صفحة 39).

3. ملخص الرواية: تسرد لنا رواية "أميركا" لربيع جابر هجرة "مرتا حداد" الفتاة الشابة الفقيرة ذات الجمال اللافت، من جبل لبنان إلى نيويورك في سنة 1913م بحثا عن زوجها الذي انقطعت أخباره، وعند وصولها حاولت شق طريقها على أمل العثور على زوجها لكنها فيما بعد تتعرض لصدمة جراء مشاهدتها لزوجها مع امرأة أخرى، تقرر الاستقرار في أمريكا وبناء حياة جديدة، بعد ذلك بسنوات طويلة نراها في باسادينا – كاليفورنيا، ثرية ومحاطة بأبناء وبنات وأحفاد.

تحكي الرواية لنا بداية هجرة العرب لأمريكا وإقامتهم بها وكيفية ازدهار تجارتهم وتحول حياتهم، إذ تؤرخ لفترة مهمة في حياة العرب.

تقابل البطلة الكثير من الأشخاص على مدار رحلتها، وكل شخص منهم يترك أثره فيها منهم من تقوم بمساعدته والآخرون بدورهم يقدمون لها يد المساعدة عبر فضاء زمكاني متنوع انطلاقا من البلدان العربية وصولا إلى أمريكا وحتى إلى أبعد من ذلك سيبيريا.

عالجت لنا الرواية الأحداث المتعاقبة في هذه الفترة من حرب كبرى إلى وباء الإنفلونزا والكساد الاقتصادي وعندما بدأت الحياة تزدهر، اندلعت الحرب العالمية الثانية في ظرف مفاجئ أخلط جميع الأوراق، كل ذلك عاصرته "مرتا" وتحكيه لأحفادها عبر قصة حياتها، هي إذن قصة نجاح وكفاح إحدى سيدات المجتمع العربي عانت من الفقر في بلدتها النائية وفرضت وجودها في أمريكا بعد ان ناضلت من أجل نفسها عندما جاءت إلى الغرب، مجتازة بحارا ومحيطات وأراضي شاسعة.

مدونة "أميركا" عبارة عن مذكرات رائعة نسجها "ربيع جابر" بأسلوب مشوق ومتفرد يمنح القيمة المضافة للسرد العربي.

4. تمظهرات الذات في رواية " أميركا" لربيع جابر: أشار " أرسطو" إلى معنى الذات حيث قال: " إن ذات الشيء هي موضوع الفلسفة الأساسية وهي ما لا يمكن لأي شكل من الأشكال نسبته إلى موضوع، وفي رأي الفلسفة الحديثة أن الذات هي الشيء نفسه" (جبور عبد النور، 1979، صفحة 116)، بهذا يترسخ أن الذات هي موضوع فلسفي بحت، وهي أفكار الفرد عن نفسه ذاته، أي أن الشخص كما يدرك نفسه فالذات هي مرادف "للأنا"، وتوسعت دراسات التي تعنى بالأنا و "الذات" في مقابل " الآخر" في حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية في الأدب، للوقوف على الاختلاف سواء أكان من جانب إيديولوجي أو ثقافي أو عقائدي.

تزخر الرواية بمقاطع ترسم لنا صورة الذات وتجاوبها مع الأنا تارة ونفورها تارة أخرى، والمقاطع الآتية تمثل ذلك: "السيد هرمان أخذ خليل حداد تحت

جناحه وعلمه كيف يبيع ربات البيوت الأمريكيات بضاعته: عليك أولا أن تقرع الباب، ثم تتراجع خطوتين، في حالتك ومع هذا الطول أفضل أن تتراجع ثلاث خطوات بعد ذلك التحية، كن مهذبا واعرض بضاعتك، لا تفكر أن عليك طي المناديل والأقمشة بعد ذلك: أبسط كل بضاعتك أمام الزبون، ثم توسع في الحديث لكن من دون ازعاج" (ربيع جابر، 2012،، صفحة 61).

في هذا المقطع تحاول "الذات" / السيد هرمان" أن تشعر أناها بالرضا من خلال إعطاء صورة إيجابية عن مساندة العرب لبعضهم في أمريكا ومساعدتهم على حسن التصرف مع الآخر الغربي ضمانا للاندماج والاستقرار رغم الظروف القاهرة.

تبرز "الذات / الأنا" في مقطع آخر: "اسمي جوزيف اسطفان... مدّ يده وشدّ يدها كانه يعرفها منذ زمن الطفولة، لم تخف من أصابعه القوية وتبعته... دخلت إلى دهليز قليل الضوء تفوح منه رائحة الشمع انتبهي لرأسك... قال جوزيف اسطفان... وعبر بها حتى الطاولة تكومت عليها ثياب نسائية، لا تخاف، هذه كلها مغسولة قديمة لكنها نظيفة... كيف تقبل إحسانا؟ لا يمكن أن تقبل، ليست إلى هذا الحد فقيرة... جوزيف اسطفان مد يديه الاثنتين وقبض على يدها أفهمها بكلمات قليلة هذا "عرف" هنا الناس للناس يا بنت عمي" (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، الصفحات 74-75-76-77).

يعكس لنا الموقف الذي قام به "جوزيف" صورة إيجابية عن العرب في ديار الغربة، ويتجلى في ذلك بدقة في العبارة الأخيرة من الفقرة السابقة، فالجود والكرم من الأخلاق المتجذرة في نفوس العرب منذ القدم، والثقافة العربية مليئة بالأمثلة الشاهدة على ذلك إذ نجد في مقدمتهم "حاتم الطائي" الذي ذبح فرسه – أغلى ما يملك- إكراما للضيف وجاء الدين الإسلامي وعزز من هذه القيم وحث على التصدق ولو بشق تمرة، ففعل الخير لا يحتاج إلى مقابل.

إن هذا الميراث القيمي الذي توارثته الأجيال يعكس جانبا من روح الثقافة الثابتة التي ترسخت في المخيال الجمعي العربي.

تجسدت صورة التعاون والعطاء بين "الذات وأناها" من خلال تضامن "مرتا" مع شريكها "جوزيف" عندما شب حريق في متجر هذا الأخير وبيته، وهذا المقطع يبين ذلك: "في شتاء 1919-1920م... يقع حريق في هنري ستريت تصل ألسنة اللهب إلى متجر جوزيف اسطفان وبيته، وينكب الرجل في ممتلكاته... قالت مرتا أنت شريكي وأنا شريكتك. من دونك لم أفتح يوما تجارة. كل خسارتك نقسمها بالنصف بيني وبينك، لم يكن كلاما، كان الصوت الحار والثابت يعني ما تقول" (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، الصفحات 338-340).

يعكس لنا هذا التصرف النبيل شهامة "مرتا" وثباتها ووقوفها إلى جانب المتضررين خير دليل على معدنها الأصيل الذي لا يتغير بتغير الأمكنة والزمان، إنسانيتها هاته وهبتها القوية لمساندة شريكها كان الهدف منها تمرير رسالة مفادها القيام بعد السقوط ويستمر هذا الشعور العاطفي في مقطع آخر حيث: "كان الكشّاشون يدخلون المتجر دائخين تناولهم الإبريق... وهي تقبض منهم وتشطب ديونهم من دفترها الكبير، ينتابها شعور مبهم تشعر بالذنب، مع أنها تساعدهم جميعا تشعر بالذنب! ضاع صيتها تدريجيا، كانت تعاملهم كأم حنون، تعطف عليهم وتمد يد المساعدة تدلهم إلى نزل وغرف رخيصة" (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، صفحة 329).

وقوف "مرتا" إلى جانب أبناء بلدها من المهاجرين نابع من إحساسها بأنها أم تضحي من أجل أبنائها، إنها تمثل وطنا كاملا يسري في كيانها.

مما سبق يتضح لنا أن "مرتا" تمثل صورة المرأة الشرقية التي تحمل في نفسها جراحا لا تلتئم، تضمدها بأعمالها الخيرية لا تريد جزاءً ولا شكورا من أناها الشرقي.

تبقى "الأنا" تعيش الاغتراب في ديار الغربة لا سيما في المناسبات، وهذا ما يجسده المقطع الآتي: "في المعمل أيضا وجدت الملاذ: كانت تركز كل طاقتها في شغلها تحاول أن تنسى العالم، ومكانها في العالم، أين مكانها؟ كانت وحدها، وعندما يقترب موسم الأعياد وتعلن السنة عن دنو نهايتها بالزينة التي تبرق مع أضواء الكهرباء ينتاب مرتا حداد الإحساس القاتل انها خارج الحياة، خارج العالم" (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، صفحة 332).

يصور هذا المقطع حالة الضياع التي تعاني منها البطلة "مرتا" الذات الفاعلة في الرواية، جراء الاغتراب الذي تعاني منه، فهي تعيش في بلد تختلف ثقافته وعاداته عن المبادئ التي نشأت عليها في مسقط راسها، فالهجرة لم تكن الحل الذي ينسيها مرارة الحياة بعيدا عن الأهل، كانت تبحث عن هويتها من خلال ذاتها، كانت تعاني من اغتراب داخلي، حال دون تصالحها مع نفسها، إذ يزداد شعور الذات بالضياع عندما تقترب مواسم الأعياد تجد "مرتا" ذاتها خارج السرب تظل تنشد أن تجد ذاتها من خلال العثور على "أناها"، ولكي تنس معاناتها تعوض ذلك بالعمل الدؤوب عليها تحقق ذاتها مع البيئة المحيطة بها.

5. الأنا والآخر في رواية أميركا: تعد ثنائية "الأنا والآخر" من أبرز المباحث التي شكلت الخطاب الروائي حيث اتخذت منها الدراسات المقارنة والثقافية مجالا خصبا للبحث فيها، هذه ثنائية جسدت صورة العربي بوصفه "أنا" ورسمت صورة "الآخر/ الغربي" وكشفت عن موقف القبول والرفض، فالأنا غالبا ما تتعرض للرفض والاستفزاز والصخرية من طرف الآخر، والآخر يحمل صورة التعالي والسمو فيرى الانا العربي في أسفل السافلين.

ولدت ثنائية "الأنا والآخر" صراعا امتد لسنوات اهتزت فيها صورة الأنا العربي وترسخت فيها صورة الآخر الغربي، وقبل معرفة كنه هذا الصراع الثنائي

لابد أن نقف عند حقيقة الأنا والآخر: "فالأنا هو مركز الشعور والإدراك الخارجي والداخلي والعمليات العقلية والمتكفل بالدفاع عن الشخصية ويعمل على الموازنة بين متطلبات الأنا الأعلى ويعمل على التوافق الاجتماعي والنفسي وتحديد الذات" (زهران حامد عبد السلام، د/ت،، صفحة 65).

وفق هذا التعريف نجد أن "الأنا" يختلف اختلافا جذريا عن الآخر ويكون مقابلا له حيث أن: "الآخر يتأسس على مفهوم (الجوهر) أي أن ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها أياً كان، فإذا كان الشرق هو الآخر بالنسبة إلى الغرب، فإن الغرب سيرصد كل السمات التي يختلف فيها الشرق عن الغرب بوصفها سيمات دونية وربما غير آدمية" (الرويلي ميجان س.، 2002، صفحة 22).

تتجلى صورة "الأنا والآخر" في رواية "أميركا" بشكل مكثف نأخذ منها على سبيل المثال المقطع الآتي: " الرجل ابن طبرية ملون العين، طوال الوقت يحدق إليها كأنه سيأكلها.... ظل ينظر إليها صارت تلعب بمحبس الذهب في إصبعها لعله يكف بصره عنها لكنه لم يبال بتلك الحركة" (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، الصفحات 40-41).

يجسد المقطع صورة الأنا "مرتا" في صراعها مع "ابن طبرية" الذي تحول إلى آخر غريب يحدق فيها بنظراته الثاقبة، وهذه الصورة تعكس حالة الاضطراب والحوس الذي يلاحق الشخصية العربية في الغربة، لكن هذه الصورة لن تبق ثابتة بل تتحول وتحمل سمة إيجابية يشكلها الأنا الشرقي مع الآخر الغربي، وهذا المقطع يبين ذلك: "علي جابر... في كلومبوس –نيو مكسيكو- اشتغل في مزرعة تملكها عائلة برتغالية كان أقوى من ثور، بينما يساعد في إصلاح سقف الإسطبل أنقض أحد الرجال من موت محقق، الرجل انزلق وكاد يدق رقبته لكن علي مد يدا والتقطه" (ربيع جابر، أميركا،، 2012، صفحة 236).

تعاطف علي جابر مع الآخر البرتغالي يدل على حالة القبول والتقبل وبالتالي فالمواقف هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، عكس تلك الصور النمطية ذات الأحكام المسبقة عن الشعوب المبنية على المصالح والمنفعة.

كما يمثل هذا المشهد اندهاش الأنا وانبهارها بالآخر: "رأيت بناية حمراء اللون، كلها مبنية من القرميد الأحمر، ما هذا؟ في سوريا لا أحد يبني عمارة كاملة بالقرميد الأحمر...مهاجرون كثر يرجعون من أميركا وعلى بطن الصديرية تتدلى ساعة ذهب بسلسة ذهب وكل لحظة يفتحون الساعة كي ينظر الآخرون إليهم وهم يفتحون الساعة..." (ربيع جابر، أميركا،، 2012،، صفحة 49).

يجسد هذا المقطع انبهار الأنا الشرقي بالآخر الغربي، "فمرتا" عندما حطت الرحال في أرض الغرب ولعت بمناظرها وقامت بعقد مقارنة بين الشرق الذي ترى بأنه بعيد عن الحياة إلا ثلة تساير الركبة وهي ثلة الأغنياء، هذه المقارنة تحيلنا إلى مركب النقص والنظرة الدونية للعرب تجاه ذواتهم، حيث يرون أنفسهم أقل شأنا من الغرب الذي يضعونه دائما موضع متفوق، يبهرهم بثقافته وهنا تصبح الهوية العربية هشة قابلة للذوبان في ثقافة الغرب ومن الأمثلة التي بينت انبهار العرب بالغرب الرحلة التي قام بها عالم الدين الأزهري " رفاعة رافع الطهطاوي" إلى باريس" إذ صور لنا مظاهر الحياة في "فرنسا" ونمط اللباس للمرأة الباريسية من خلال كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" حيث أبدى إعجابه الشديد بمظاهر الحضارة الغربية مقارنا بذلك المرأة العربية بالمرأة الباريسية .

6. خاتمة:

مما سبق نستنتج أن الرواية تهتم بصفة عامة بالسوريين المهاجرين الذين اشتغل معظمهم باعة متجولين أو "كشاشين" يحملون الصناديق على ظهورهم ويجوبون الطرقات من شرق أمريكا إلى غربها يبيعون المناديل المطرزة والأثواب النسائية وينقلون أخبار العالم إلى البيوت الريفية المنعزلة، حياة عسيرة ومثيرة

تقسم الظهور وتخلف عاهات مستديمة عند البعض لكنها تصنع ثروة "مرتا" سريعا لتصبح في وقت قياسي أشهر مشغلة للكشاشين في أمريكا كلها ثم تمتلك المتاجر وتفتح المصانع إذ تحولت شخصيتها من القروية البسيطة إلى الأمريكية الأصيلة.

كما أن الرواية لم تتحدث عن "مرتا حداد" وحدها بل عرفتنا على شخصيات أخرى كـ "جوزيف اسطفان" و"السيد هرمان" و"خليل حداد" وغيرهم وحكت لنا قصة كل واحد منهم مع الغربة وتجربته للحلم الأمريكي، كل تجربة أغرب من سابقتها.

تحكي لنا الرواية رحلة المهاجرين العرب الأوائل الذين شاركوا في تأسيس المجتمع الأمريكي رفقة الأوروبيين وكيف أنهم فرضوا أنفسهم في جميع الميادين وأصبح لديهم صوت مسموع.

تكتشف لنا أحداث الرواية أنساقها المضمرة من خلال شخصية المرأة الحديدية "مرتا" التي تحدت التاريخ والجغرافيا واعطت صورة إيجابية عن المهاجرين العرب الذين فرضوا نفسهم ونالوا احترام الآخر.

عالجت الرواية في مضامينها تيمات رئيسية تمثلت في العلاقة بين "الأنا العربي والآخر الغربي"، صورة المهاجرين العرب، وانصهار الثقافات وتوثيق الأحداث التاريخية والأزمات الاقتصادية والأمراض الوبائية.

7. قائمة المراجع:

العقيلي عبد الفتاح، *النقد الثقافي، قضايا وقراءات*، مكتبة الزهراء، الرياض، السعودية، ط1، 2001.

جابر ربيع، *أميركا*، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط5، 2012.

سبيلا محمد وبن عبد العالي عبد السلام، *الإيديولوجيا*، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1999.

سعيد ادوارد، *الثقافة والإمبريالية*، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، لبنان، ط4، 2014،

سعيد ادوارد، *الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق*، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت لبنان، 1980.

سلدن رامان، *النظرية الأدبية المعاصرة*، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.

عبد السلام زهران حامد، *التوجيه والإرشاد النفسي*، عالم الكتب، القاهرة، ط2، د/ت.

عبد النور جبور، *المعجم الأدبي*، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1979.

عليمات يوسف، *النسق الثقافي، قراءة في أنساق الشعر العربي القديم*، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

كوبر آدم، الثقافة، *التفسير الأنثروبولوجي*، تر: تراجي فتحي، عالم المعرفة، الكويت، الأردن، ع 349، 2008.

ميجان الرويلي و البازغي سعد، *دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً أو مصطلحا نقديا معاصرا*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002.

يقطين سعيد، *انفتاح النص الروائي، النص والسياق*، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2001،.